جدال عنيف بين أديبين

بقلم : الاستاذ حسن الجواهري

جلس أديبان من ادباء اليوم يتحدثان عن الادب وكانت وجهة نظرهما مختلفة الاول يريده ان يكون عبارة عن مجموعة اخبار وأحاديث ادبية يستظهرها الاديب لكي ينتظم في سلك الادباء وهذه المجموعة يجب ان تكون في نظره مستقاة من الكتب الادبية المشهورة كالكامل للمبرد والبيان والتبيين للجاحظ والنوادر للقالي والاغاني للاصبهاني وغيرها من كتب الادب المشهورة التي يتوارثها الخلف عن السلف للحفظ والتسميع :

والثاني يريده ان يكون جديداً مبتكراً ليتمشى مع الزمن ويدور مع الايام فالاستمرار في نظره على حفظ اخبار البكاء على الاطلال لعروة بن حزام وجميل بن معمر وقيس بني عامر ومن لف لفهم من العشاق والمحبين الذين تردد ذكرهم حتى على السنة النساء والاطفال والسوقة كما ان الاقتصار على حفظ وصف الآل والرمال والبادية والخيام وحلب الشاة ورعي الماشية وشن الغارات واقتحام الغزوات وما الى ذلك مما يختص بامور العرب البائدة في ظروفها الخاصة بها ومالا يتفق وهذا العصر في شيء جمود يقف بالاديب ضمن دائرة محدودة يتعذر الخروج منها . واشتد بينها الجدال وذهب بها الحماس الى اطلاق اصواتها عالية بصورة لفتت اليها الانظار وكنت بعيداً عنها فتقربت من مجلسها لأرى لمن تكون الغلبة في النهاية فسمعت الثاني يقول للاول . الاديب عندك يا صاحبي راوية وليس بأديب لأنه يحفظ ويستظهر دون ان يتصرف أو يبتكر والادب كما لا يخفى تصرف وابتكار فاجابه الاول . انني لا أعرف لهاتين الكلمتين معنى في الادب ولا أرى أية علاقة لهما فيه ما دمت اعتقد بانه عبارة عن مجموعة محفوظات شعرية ونثرية مخزونة في دماغ الاديب أو المتأدب يزجي فيها فراغه ساعة ينطلق من عقال العمل أو يضمه مجلس أو ناد وان من العبث ان يطالب الاديب باكثر من ذلك ويكلف بتصرفات وابتكارات تعتقدها أنت من صميمه ثم تابع يقول بهزيء وسخرية (تصرف وابتكار تصرف وابتكار) بالله عليك يا صاحبي أن تشرح لي هاتين الكلمتين بصورة واضحة جلية وإلا أتهمك بالتحدي والمغالطة وسوء النية . فقال الثاني وقد لمع في عينيه ذكاء نادر ما كنت لأجيبك عن سؤالك لولا علمي بجهلك واعتقادي بغباوتك بالرغم عما لاحظته منك من مظاهر الهزء والسخرية . التصرف والابتكار يا هذا ملكتان يتمكن بواسطتهما الاديب ان يخرج لامته ادباً نافعاً مقبولا يتناوله من البيئة الراهنة فيصبه بقوالب من الاخبار التي تتولد مع الايام وتتجدد مع الزمن مع استخدام الالفاظ الجديدة التي تنتجها مجامع اللغة العربية ليتمكن بواسطتها أن يصف كل شيء تقع عليه عينه من صناعة واختراع وفن فان مجال الوصف فيها لواسع غير محدود واثرها في العين والنفس بعيد الغور مترامي الاطراف . ثم تابع يقول . وهنالك تصرف وابتكار في تحليل النفسيات ووصف الحوادث وابداء الآراء وتقد الاشياء على اختلاف اجناسها وتباين انواعها مما لا يحصرها عد ولا يحيط بها حساب وكلها تمت الى الادب باقرب الصلات فان كان الاديب مجرداً من هاتين الملكتين اعني ملكتي التصرف والابتكار وجامداً على حفظ الاشياء الآنفة الذكر لا يصح أن يسمى اديباً وانما هو راوية ليس إلا :

وكان يتكلم بلباقة ممتازة وخصمه ينظر اليه شزراً كمن يحاول القاء الحجة فلم يتمكن لقصور في نطقه وضعف في دراسته وبعد سكوت شامل استدام بضعة دقائق تكلم الاول وقال : انك متجدد والمتجددون متمردون على ادبهم القديم تراث الآباء والاجداد فاجابه خصمه هذا هو السلاح القديم الذي طالما جردتموه على خصومكم معاشر انصار القديم كلما اعوزتكم الحجة وافتقرتم الى برهان وما دمت قد التجأت الى حمل هذا السلاح فاني لست بمناظر لك منذ الآن ثم نهض وانصرف ؟

النجف : حسن الجواهري

في حق هذه السلسلة الجليلة ولا يتقون الله في حقهم ويفترون عليهم بما هم منه بريئون وما ادري هل امرهم الله سبحانه بالافتراء على هذه الفرقة فاطاعوه ام نهاهم فعصوه وعلى كل فسيحصدون ما زرعوا او يجدون ما اقترفوا وما ربك بغافل عما يعمل الظالمون

عبد الله الموسوي